

# الزَّجَّاج والإِشْتِاق

بِحْثٍ مِنْ إِعْدَادِ

د. تَغْرِيدُ مُحَمَّدٍ صَالِحٍ

كَلِيَّةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الْجَامِعَةُ الْعِرَاقِيَّةُ



- المبحث الرابع: من السَّباق إلى نضيج  
الاشتقاق.

## المقدمة

وفي الختام نسأل الله التوفيق لما فيه الخير  
والصلاح، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على  
سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
اجمعين.

\* \* \*

وبعد؛ يعدّ موضوع الاشتقاق من أغزر  
الموضوعات اهتماماً، وأوفرها رعاية في نطاق  
البحث اللغوي، إذ لا يكاد يخلو مدوّن تخصصي  
في اللغة من مبحث تحت عنوان (الاشتقاق)  
ذلك بأنه من أكبر الحثيات القياسية التي  
تمد اللغة بجملة مفردات لا يجد المتكلم إليها  
سبيلاً بسواه.

وإذ كان الاشتقاق يعدّ الحثية الأوسع نطاقاً في  
مجال التداول اللغوي، فمن البداهة أن يضطلع  
فيه الزَّجَّاجُ، إذ كان للزَّجَّاجِ طابعاً خاصاً في تناوله  
الاشتقاق ميزه عن غيره من الأئمة واللغويين،  
وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا البحث، وقد  
اقتضى البحث أن يكون على أربعة مباحث  
تسبقهما مقدمة وتلحق بهما خاتمة أوجزت فيها  
أهمّ النتائج وكان كالآتي:

- التمهيد، وذكرت فيه نبذة مختصرة عن  
حياة الزَّجَّاجِ.

- المبحث الأول: نظرية الزَّجَّاجِ الاشتقاقية.

- المبحث الثاني: موقف الخصوم والحساد.

- المبحث الثالث: بين الزَّجَّاجِ وابن السَّراج.

والجدل في العربية على مذهب الكوفيين .  
ولم تكن دار السلام حاضرة الدولة العباسية  
بل كانت سامراء، وفي هذه الأخيرة تظاهر الطمع  
والحققد والشعوبية، وتكالبوا على الخليفة  
المتوكل، فقتل سنة (٢٤٧ هـ).

وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي  
البصري<sup>(٤)</sup> مُقرباً عند الخليفة، وميّت بالخلافة  
حقبة عصيبة بعد مقتل المتوكل مما حمل المبرد  
على أن يهجر سر من رأى قاصداً بغداد.  
وفي المسجد الجامع ببغداد نهض المبرد  
بعد الصلاة، موهما أنه قد سُئِلَ، وطفق يفسر،  
فاتجهت إليه الأنظار، وتحلق الناس حوله (فلما  
نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس أمر إبراهيم بن  
السري الزجاج وابن الحائل بالنهوض، وقال لهما:  
فصاً حلقة هذا الرجل، ونهض معهما من حضر  
من أصحابه)<sup>(٥)</sup>.

وكان صاحبنا الزجاج أول من لقيه وناظره، تلبية  
لأمر شيخه ثعلب، ليسكته، فينقطع ويرحل، بيد  
أن العكس حصل، فبدل أن يُفحم المبرد ويُهزم  
أفحم الزجاج مبعوث ثعلب، وبُهر، وأنجذب إلى  
الزائر الغريب ولم يعد إلى شيخه الأول، بل لازم  
شيخه الجديد المبرد طول العمر حتى صار من  
أبرز تلاميذه في حياته وخليفته من بعده.

(٤) توفي سنة ٢٨٥ هـ وكان زعيم النحو في عصره غير  
منازع.

(٥) طبقات النحويين واللغويين ١٠٩.

## الزجاج والاشتقاق

### • التمهيد:

### • نبذة مختصرة عن حياة الزجاج

الزجاج<sup>(١)</sup>: هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق،  
لقب بالزجاج نسبةً إلى مهنته.  
كما قالوا: النحاس والسرّاج، ويُعدّ من أشهر  
النحويين واللغويين في أواخر القرن الثالث  
الهجري وأوائل القرن الرابع.

وُلد في بغداد سنة (٢٣١ هـ) على الأرجح<sup>(٢)</sup>،  
ونشأ بها كان في صباه عامل زجاج، وفي الوقت  
نفسه كان يدرس العربية على أبي العباس أحمد  
بن يحيى المعروف بـ ثعلب<sup>(٣)</sup> شيخ النحويين  
الكوفيين، وظل ملازماً لشيخه هذا أخذاً عنه حتى  
برع من بين أصحابه، وبلغ منزلة تؤهله للمناظرة

(١) للزجاج تراجم كثيرة نذكر منها: طبقات النحويين  
واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،  
دار المعارف بمصر ١٩٧٣، ص ١١١، ونزهة الالباء  
لابي البركات الانباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي،  
بغداد ١٩٥٩، ص ١٦٧، ومعجم الادباء لياقوت الحموي،  
تحقيق: مرجليوث، مطبعة هندية بالموسكي، مصر،  
٥٧/١، وإنباه الرواة للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل  
إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠م، ١٥٩/١. وينظر: (الزجاج: حياته  
وآثاره، ومذهبه في النحو) وهي رسالة الماجستير للدكتور  
محمد صالح التكريتي

(٢) انظر: الزجاج حياته واثاره ص ٥٤-٥٧، مخطوط.

(٣) توفي سنة ٢٩١ هـ، وإليه انتهت رئاسة النحو الكوفي.

ولم يكتف الزجاج بأخذ علوم العربية عن شيخه عصرهما فيها، ثعلب زعيم النحو الكوفي، والمبرد زعيم النحو البصري، بل استزاد من علوم الدين كالفقه والحديث والقراءة والتفسير، فصاب أهلها، وأخذ عن علمين مشهورين من أعلام العصر هما إسماعيل بن إسحاق القاضي<sup>(١)</sup> وعبد الله بن أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup>، وتحصّلت لديه ثقافة واسعة، وملكة في العلم راسخة، أكسبته شهرة علمية عريضة، ومنزلة اجتماعية رفيعة.

#### • أمّا مكانته العلمية:

فيثبتها أنه كان معتمداً شيخه ثعلب والمبرد أيام تلمذته، ومحط أنظار الدارسين أيام مشيخته، وقع اختيار ثعلب عليه وعلى ابن الحائل من بين تلاميذه ليفضاً حلقة المبرد، وتكلم الزجاج بين تلاميذه ليفضاً حلقة المبرد، وتكلم الزجاج

وَتَجَلَّى مكانته العلمية أيضاً في أمرين مهمين آخرين، أحدهما: أن الزجاج يُعدّ مدرسة جامعة، تخرّج فيها أئمة أعلام في النحو واللغة والأدب، منهم: أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) وأبو العباس بن بكر بن ولاد (ت ٣٣٢هـ)، وأبو بكر مبرمان (ت ٣٤٥هـ)، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وأبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) وغيرهم كثيرون، كلهم تتلمذوا على الزجاج.

انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، حيدرآباد ١٩٥٦، ٦٢٥/٢، ومعجم الأدباء ٢٥٧/٢، وطبقات القراء لابن الجزري، تحقيق: برجستراسر، مصر ١٩٣٢م، ١٦٢/١، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ٣٤/١.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣-٢٩٠هـ) الامام الحافظ الحجّة، كان محدث العراق سمع من ابيه ... وكان ثقة ثبتاً فهماً. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ

(٣) اخبار النحويين البصريين ٨٠.

(٤) طبقات النحويين واللغويين ١٥٣، ومعجم الادباء

والامر الآخر: تأليفه العديد من المصنّفات القيّمة الموثوق بها، الدالة على غزارة علمه وصدق روايته ودقّته، ورسوخ قدمه في غير اختصاص، منها: معاني القرآن، وخلق الإنسان، وما ينصرف وما لا ينصرف، وفعلت وأفعلت... الخ.

• وأما مكانته الاجتماعية:

فقد عاش أبو إسحاق أيام الصبا مغموراً فقيراً، يخرط الزجاج كل خمسة أيام من الشهر ويقنع بما يمسك به رمقه، لينصرف بقية الشهر إلى الأخذ عن ثعلب. وبعد تحوّله إلى المبرّد أجرى عليه ثلاثين درهماً في الشهر لينصحه في العلم.

واستوزر المعتمد عبيد الله بن سليمان بن وهب سنة ٢٧٧ هـ<sup>(١)</sup> بعد أن كان عبيد الله يعيش في محنة، وتسلم هذا الوزارة، وكان ابنه القاسم موضع عنايته، فحرص على تنشئته واعداده لتولّي المناصب الخطيرة، والخطوة الأولى في ذلك السبيل، هي تأديبه على العادة الجارية عند الخلفاء والوزراء والأعيان.

لم يكن آنذاك في بغداد من يصلح للمهمة خيراً من عالمي عصرهما المبرّد وثعلب، فوجّه اليهما الوزير طلباً لتأديب ولده، فاعتذرا، فكرّر الطلب، فاختر كل منهما خيرة طلابه ليدفع به إلى تأديب ولد الوزير. أمّا المبرّد

فلم يكن بين أصحابه أفضل من أبي إسحاق، فاختره ليسد مسدّه.

وأما ثعلب فلم يكن بين أصحابه أنبه من زميل الزجاج بالأمس يوم اختارهما لفض حلقه المبرّد، ذلك هو هارون بن الحائل، فاختره للمهمة. وجمع الوزير عبيد الله بينهما، وطلب منهما، أن يتساءلا، وسأل أبو إسحاق زميله، فافحمه، وانقطع هارون انقطاعاً قبيحاً، فأختير الزجاج وصرف الآخر.

وتسلم أبو إسحق مهمته، وظل يؤدب القاسم وعبيد الله وزير المعتمد، ثم جاءت خلافة المعتضد سنة (٥٢٧٩هـ) وعبيد الله بن سليمان باق على وزارته، حتى توفي في الخدمة سنة (٥٢٨٨هـ)، والزجاج مازال مختصاً بتأديب القاسم، وبديهي أن ترتفع منزلة الزجاج، وتحسن حاله المعاشية طوال السنين التي قضاها في تأديب القاسم أيام وزارة أبيه.

واستوزر المعتضد القاسم - هذه المرة - خلفاً لأبيه، والزجاج على صلته به مما زاد في علو منزلته، وقد ارتفعت تلك المنزلة درجات يوم اتصل بالخليفة نفسه، قال ابن النديم: (ثم ارتفع الزجاج وصار مع المعتضد يعلم أولاده)<sup>(٢)</sup>

واتصال أبي إسحاق بالمعتضد راجع إلى أنّ صاحبنا فسّر للخليفة كتاباً لغويا غامضاً بوساطة

(٢) الفهرست لابن النديم، مطبعة الاستقامة، مصر، ص ٩٦.

(١) انظر: معجم الأنساب والأسر الحاكمة. زانباور، مصر ١٩٥١، ٧/١.

القاسم، فاستحسن الخليفة التفسير وأمر له بثلاثمئة دينار وأجرى له بعدها رزقا دائما، قال ابن النديم: (وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزقا في الندماء، ورزقا في الفقهاء ورزقا في العلماء ثلاثمئة دينار)<sup>(١)</sup>.

لقد ارتفعت منزلة الزجاج يوم أصبح تلميذه القاسم وزيراً مميّزاً كالوزراء قوياً جريئاً مهيباً، وارتفعت منزلته أكثر وتأتلت حاله حين اتصل بالمعتضد يؤدب أولاده.

ولا غرو في أن تزداد منزلته علوا ورفعة حين يكون الرجل الأول في الدولة - أعني الخليفة - تلميذه، فقد تولّى الخلافة بعد المعتضد ابن المكتفى سنة (٢٨٩ هـ) ثم من بعده أخوه المقتدر سنة (٢٩٥ هـ)، وكلاهما تلميذاً للزجاج.

إنّها منزلة عظيمة تبوّأها أبو إسحاق بجدارة، وطبيعي أن تكون رفاهة العيش والإجلال والتقدير من مشخّصات منزلته، ولا عجب فهو أستاذ الخلفاء، وأنيسهم، ومؤدب أولادهم، وهي - لعمرى - منزلة تهوي إليها أفئدة الطامعين الطامحين، وتغيض الحساد والكاشحين الذين كانوا يموجون من تحته، يطعنون عليه، ويخوضون في سيرته يتجهمون، ويسخرون منه دعاوى وأباطيل أطلقوها، ظاهرها العلم والرشد، وباطنها الحقد والغل والحسد، وهذا ما سنوضحه في صحف آتية.

المبحث الأول:

• نظرية الزجاج الاشتقاقية

تتلخّص نظرية الزجاج في الاشتقاق في أن كل لفظتين تتفقان ببعض الحروف، وإن نقصت حروف أحدهما عن الأخرى فإن أحدهما مشتقة من الأخرى، وقد أشار ابن السراج إلى هذه النظرية لشيخه، فقال: (وقد كان أحد الحُذّاق بالبحر يُذكر أنه ليس في لغة العرب لفظتان تتفقان في الأصول إلا لمعنى يجمعهما ..)<sup>(٢)</sup>.

فهو يرى أن الألفاظ المتشابهة الحروف تؤول معانيها إلى أصل واحد يجمعها وإن اختلفت صيغها ومبانيها.

وسمّى ابن جنّي هذا النوع من الاشتقاق بالأصغر أو الصغير، قال أبو الفتح: (وذلك أنّ الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرّفه، نحو سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم. اللديغ أطلق عليه تفاعلاً بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره، كتركيب (ض ر ب) و (ج ل س) ... على ما في أيدي الناس من ذلك، فهذا هو

(٢) الاشتقاق لابن السراج، تحقيق: الاستاذ الدكتور محمد صالح التكريتي، بغداد ١٩٧٣، ص ٣٣.

(١) الفهرست، ص ٩٦

الاشتقاق الأصغر، وقد قدّم أبو بكر<sup>(١)</sup> - رحمه الله - رسالته فيه بما أغنى عن اعادته، لأنّ أبا بكر لم يأل فيه نصحا وإحكاما، وصنعةً وتأنيا...<sup>(٢)</sup>.  
وتحتوي قائمة مؤلفات الزجاج على كتاب

باسم (الاشتقاق) مادته من هذا النوع الذي أشار إليه ابن جني، بيد أنّ السيوطي سماه: الاشتقاق الأكبر، قال: (في مثال من الاشتقاق الأكبر مما ذكره الزجاج في كتابه، قال: قولهم: شجرتُ فلاناً بالرمح، وتأويله جعلته فيه كالغصن من الشجرة، وقولهم للحلقوم وما يتصل به: شجر؛ لأنه مع ما يتصل به كأغصان الشجرة. وتشاجر القوم: إنما وتأويله اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة وكل ما تفرّع من هذا الباب فأصله الشجرة.

وفيروى عن شيبه بن عثمان قال: أتيت النبي ﷺ يوم حنين فإذا العباس أخذاً بلجام بغلته قد شجرها. قال أبو نصر صاحب الأصمعي: ففي قوله (قد شجرها) أي رفع رأسها إلى فوق، يُقال: شَجَرْتُ أَغْصَانَ الشَّجَرَةِ إِذَا تَدَلَّتْ فَرَفَعْتُهَا. والشَّجَار: مركبٌ يُتَّخَذُ لِلشَّيْخِ الكَبِيرِ، وَمَنْ مَنَعَتْهُ العِلَّةُ مِنْ الحِرْكَةِ، وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ السَّقُوطُ، تَشْبِيهًا بِالشَّجَرَةِ المَلْتَفَةِ. والنخل يُسَمَّى الشَّجَرِ، قال الشاعر:

وأخبثُ طلعٍ طلعُ كُنَّ لاهله

وأنكرُ ما خيَّرتُ من شجراتِ

والمرعى يقال له: الشجر، لاختلاف نبتة، وشجر الأمر إذا اختلط، وشجرني عن الأمر كذا وكذا، معناه: صرفني، وتأويله أنه اختلف رأيي كاختلاف الشجر.  
والباب واحد، وكذلك شجر بينهم فلان أي اختلف بينهم، وقد شجر بينهم أمر، أي: وقع وسجل الزجاج نظريته تلك في معانيه حين فسر قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>. فبعد أن أعرب (حتى تتبع) تفصيلاً على وفق المذهب البصري، قال: بينهم. انتهى)<sup>(٤)</sup>.

في هذا النص ذكر الزجاج أكثر من لفظة وتعبير، نحو: شجرت فلاناً بالرمح، وشجر للحلقوم، وتشاجر القوم، وشجر البغلة، وشجر أغصان الشجرة، والشجار، والشجر للنخل وللمرعى. كل هذه الألفاظ فروع، وكل ما تفرّع من هذا الباب فأصله الشجرة، كما يقول: (ونصب ملتهم بتتبع، ومعنى ملتهم في اللغة: سنتهم وطريقتهم، ومن هذا: ألملة أي: الموضع الذي يُختبَرُ فيه؛ لأنها تؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق، وكلام العرب إذا أتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض وأخذ

(٣) البقرة آية ١٢٠.

(٤) المزهر للسيوطي، تحقيق: محمد احمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٣٥١/١ - ٣٥٢.

(١) هو ابن السراج.

(٢) الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م، ١٣٤/٢.



بعضه برباقب بعض<sup>(١)</sup>.  
 هذا هو مذهبه، وعزّزه بل أكدّه بما بثّه في غير  
 واحد من مصنفاته من مادة غزيرة تُصنّف في هذا  
 الاتجاه.  
 ففي معاني القرآن كان لنظريته مجالاً رحب  
 في تفسير اللفظ القرآني قال في تفسير قوله تعالى:  
 (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا  
 مَعَهُمْ)<sup>(٢)</sup>. (... ومعنى كتاب الله ههنا: القرآن،  
 واشتقاقه من الكتب وهي جمع كتّبة، وهي  
 الخرزة، وكل ما ضممت بعضه الى بعض على  
 جهة التقارب والاجتماع فقد كتّبتة، والكتيبة:  
 الفرقة التي تحارب، من هذا اشتقاقها؛ لأنّ بعضها  
 مُنضمٌ الى بعض. ويُسمّى كلام الله عز وجل الذي  
 أنزلهُ على نبيه كتاباً، وقرآناً وفرقاناً، فقد فسّرنا معنى  
 كتاب، ومعنى قرآن معنى الجمع، يُقال: ما قرأت  
 هذه الناقة سلى قط، لم يضطّم رحمها على ولد  
 قط، قال الشاعر<sup>(٣)</sup>:

.....

هجان اللون لم تقرأ جنينا<sup>(٤)</sup>

فالمعاني للكتاب والكتّب والكتّبة والكتيبة

(١) معاني القرآن للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبدة شلبي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ١٩٧٤، ١٨١/١.

(٢) البقرة اية ٨٩.

(٣) هو عمرو بن كلثوم، والبيت من معلقته.

(٤) الشاعر دريد بن الصمة، ديوان دريد بن الصمة،

تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف ١٩٨٠

تؤول إلى أصل واحد هو التقارب والاجتماع.  
 وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾<sup>(٥)</sup>، ومعنى (كافة)  
 في اشتقاق اللغة: ما يكّف الشيء من آخره، من  
 ذلك: كُفّة القميص، يقال لحاشية القميص:  
 كُفّة، وكل مستطيل فَحُرْفَةٌ كُفّة، ويُقال في كل  
 مستدير كُفّة، وذلك نحو كُفّة الميزان، ويُقال: إنما  
 سُمّيت كُفّة الثوب؛ لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل  
 الكف: المنع، ومن هذا قيل لطرف اليد (كف)؛  
 لأنها يُكّف بها عن سائر البدن، وهي الراحة مع  
 الأصابع، ومن هذا قيل: رجل مكفوف أي قد كّف  
 بصره من أن ينظر<sup>(٦)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ  
 نَقِيبًا)<sup>(٧)</sup>. أفاض في إيراد طائفة كبيرة من الألفاظ  
 المتشابهة الحروف المختلفة الصيغ بين أفعال  
 وأسماء ومصادر ومفرد وجمع ومؤنث ومذكر، وقال:  
 (النقيب في اللغة كالأمير والكفيل، ونحن نبين  
 حقيقته واشتقاقه إن شاء الله.

يقال: نَقَبَ الرجلُ على القومِ ينقُبُ إذا صار  
 نقيباً عليهم، وما كان الرجل نقيباً، ولقد نَقَبَ،  
 وصناعته النِقَابَةُ، وكذلك عرف عليهم إذا صار  
 عريفاً، ولقد عُرِفَ. ويُقال لأول ما يبدو من الجرب:  
 النَّقْبَةُ، ويُجمع: النَّقَبُ، قال الشاعر:

(٥) البقرة اية ٢٠٨.

(٦) معاني القرآن ١/٢٧٠.

(٧) المائدة اية ١٢.

مُتَبَدِّلاً تَبَدُّوْا مَحَاسِنَهُ  
يُضَعُ الْهِنَاءُ مَوَاضِعَ النُّقْبِ  
والنُّقْبَةُ وَجْمَعُهَا نُقْبٌ: سِرَاوِيلٌ تَلْبَسُهَا الْمَرْأَةُ  
بِلا رِجْلَيْنِ، وَيُقَالُ: فَلَانَةٌ حَسَنَةٌ النُّقْبَةُ وَالتَّقَابُ،  
وَيُقَالُ: فِي فَلَانٍ مَنَاقِبٌ جَمِيلَةٌ، وَهُوَ حَسَنٌ  
النَّقِيْبَةُ، أَيْ حَسَنُ الْخَلِيْقَةِ، وَيُقَالُ: كَلْبٌ نَقِيْبٌ،  
وَهُوَ أَنْ تُنْقَبَ حَنْجَرَةُ الْكَلْبِ لَثْلًا يَرْتَفِعُ صَوْتُهُ فِي  
نُبَاحِهِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الْبِخْلَاءُ مِنَ الْعَرَبِ لَثْلًا  
يَطْرُقُهُمْ بِسْمَاعٍ نَبَاحِ الْكَلَابِ.

وهذا الباب كله يجمعه الذي له عمق ودخول،  
فمن ذلك: نقبت الحائط أي بلغت في الثقب  
آخره، ومن ذلك النقبة في الجرب؛ لأنه داء شديد  
الدخول، والدليل على ذلك أن البعير يُطلى  
بالهناء، فيوجد طعم القطران في لحمه، والنُّقْبَةُ  
هذه السراويل التي لا رجلين لها، قد بُولغ في فتحها  
ونقبتها، ونقاب المرأة وهو ما ظهر من ثلثتها من  
العينين والمحاجر، والنَّقْبُ والنُّقْبُ: الطريق في  
الجبل، وإنما قيل نقيب؛ لأنه يعلم دخيلة أمر القوم  
ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم).

فانظر إلى أبي أسحق كيف طبَّق نظريته سالفه  
الذكر على تلك الطائفة من الألفاظ، بأن أصل لها  
معنى جامعاً في ( ن ق ب ) وهو التأثير الذي له  
عمق ودخول وهذه النزعة الاشتقاقية واضحة جدا  
في معانيه<sup>(١)</sup>.

وأتحفنا الزَّجَّاجُ بعلم غزير من نحو ولغة وصرف  
وتفسير وقراءة وعلل ومذاهب، قلماً يجتمع هذا  
الفيض في مكان واحد، لكنه اجتمع في كتابه  
القيم (شرح بسم الله الرحمن الرحيم)، فقد وضع  
على البسملة ثمانين سؤالاً، قال: (إني تدبَّرتُ قول  
الله جل اسمه (بسم الله الرحمن الرحيم) فوجدت  
فيه ثمانين سؤالاً منها في قوله (بسم) أربعون  
سؤالاً، وعن اسم (الله) جل ثناؤه وتقدَّست أسماؤه  
عشرون سؤالاً وفي (الرحمن الرحيم) عشرون سؤالاً،  
على مذهب النحويين والعلماء الماضين)<sup>(٢)</sup>.

ولم يغفل الناحية الاشتقاقية، وهو يضع أسئلته  
الثمانين، فقد وضع أسئلة عن اشتقاق اسم،  
ولفظ الجلالة، والرحمن الرحيم، وفي الأخيرتين  
يقول: (... وأما الرحمن الرحيم فإنه يقال فيهما:  
هل هما اسمان أو صفتان؟ وهل هما مشتقان أو  
غير مشتقين؟ وهل معناهما واحد أم لكل واحد  
معنى، وما معنى كل واحد منهما على انفراده؟  
وما وزنهما؟ وهل هما جاريان على فعل أم لا؟ ولم  
لم يوصف الرجل بالرحمن، ويوصف بالرحيم؟  
وعلى أي وجه وصف الله تعالى بهما... الخ)<sup>(٣)</sup>.

وآثرتُ أن أورد قسماً مما ذكره في الرحمن  
الرحيم مما له صلة بما نحن بصدد، قال في  
أجوبته: (قوله تعالى: الرحمن الرحيم، قال أهل  
التأويل: فيهما قولان، أحدهما ما زُوي عن عيسى

(١) انظر مثلاً معاني القرآن ١/٤٢٣، ٤١١، ٣٨٩، ٢٨٣، ٣٩،

١١٨/٢، ٢٧٧.

(٢) شرح بسم الله الرحمن الرحيم. المقدمة مخطوط.

(٣) شرح البسملة. مخطوط.

وقول الشاعر:

أَلَا ضَرَبْتُ تِلْكَ الْفِتَاةَ هَجِينَهَا  
أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنِ رَبِّي يَمِينَهَا  
واحتج بشاهد شعري آخر، ثم انتقل الى (الرحيم)  
فقال: (وأما الرحيم فهو من صفات الذات كقولك:  
كريم لمن عُرف بالكرم ولزمه، وكذلك عليم وشهيد  
ونحوه، وهذا مما يجوز أن يوصف به المخلوقون،  
فيقال: رجل كريم وعليم ونحوه)<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن بيّن علّة كون بعض هذه الصفات  
كجبار ومتكبر إذا وقعت على مخلوق كانت ذمّاً،  
وإذا كانت لله عز وجل كانت مدحاً ساق تعليل  
المبّرّد، وانتقل إلى ما ذكره أبو عبيدة في (الرحمن  
الرحيم)، قال: (وقال أبو عبيدة: الرحمن الرحيم:  
مجاز ذو الرحمة، والرحيم: مجازه الراحم، ثم  
قال: هو بمنزلة ندمان ونديم، وقد يجيء اللفظان  
مختلفين والمعنى واحد، قال الشاعر<sup>(٤)</sup>:

وندمان يزيد الكأس طيباً  
سقيت وقد تغوّرت النجوم  
وقال الآخر:

رزينا أباحرب ولاحيّ مثله  
وكان أبو حربٍ أخي ونديمي  
وقال المبرّد بهذا، أعني ندمان ونديم، ولم  
يقبل بالأول، وقد رأيت بعض العلماء ذوي النظر

(٣) شرح البسملّة. مخطوط.

(٤) لبيت من كلام البرج بن مسهر وقيل هو البرج بن  
الخلاص الطائي.

بن مريم عليه السلام أنه قال: الرحمن: رحمن الدنيا  
والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة، ومعنى القول: أن  
نعمة الله جل وعلا وفواضله تعم الخلق في الدنيا  
من مؤمن وكافر، وفي الآخرة يخص بنعمته وعطاياه  
المؤمنين، فإن قال قائل: ما وجه تكريرهما وهما  
بمعنى واحد؟ فإن في ذلك وجوها:

أحدها: إنّ الرحمن أشدّ مبالغة في معناه  
من جهتين، أحدهما من جهة أنّ فعلاً من  
أبنية الكثير كقولك: غضبان للممتلى غضباً..  
وما أشبهه، والوجه الآخر أنّ أسماء الفاعلين إذا  
جرت على أفعالها لم يكن فيها معنى المبالغة،  
وإذا لم تجد على أفعالها تضمّنت التكثير  
والمبالغة، ألا ترى أنّ قولهم: صبور، وشكور،  
وليس صبور وشكور بمبني على فعل متضمّن  
معنى التكثير، وكذلك رحمن، لما عدل عن بابه  
وبني بناءً أذى معنى المبالغة، ولو كان على رجم  
يقال: راحم ولم يقل رحمن، فلمّا كان فيه معنى  
المبالغة والتكثير، ولم يكن جارياً على فعل تقدّم  
على الرحيم، وجرى مجرى الأسماء، ولم يجر  
لمخلوق أن يُسمّى به كما قال الحسن: الرحمن  
اسم ممنوع، ومعناه ممنوع التسمية<sup>(١)</sup>. ثم عرج  
الى ان العرب كانت تعرف الرحمن، بدليل قوله  
تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا  
تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح البسملّة. مخطوط.

(٢) سورة الاسراء اية ١١٠

ردّوا على أبي عبيدة في قوله: الرحمن: مجازه ذو الرحمة، فمعناه ان الرحمة لازمة له لا تفارقه، لا تنتقل عنه، ولا تتغير، وإذا قال: الرحيم فمجازه الراحم، فالراحم هو اسم فاعل من رحم، واسم الفاعل قد يكون ماضيا وحالا ومستقبلا وهذا القول منه يوجب الفرق بينهما...).

ويتجلّى مذهبه الاشتقاقي في ردّه الألفاظ المتشابهة الحروف إلى معنى واحد في كتابه (تفسير أسماء الله الحسنى) الذي ألفه استجابة لطلب شيخه إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال الزجاج في مقدمته: (هذه تفاسير الأسماء التي رويت عن رسول الله ﷺ في قوله (إن الله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة) وقد كان القاضي إسماعيل بن إسحاق رحمه الله طلبها منا فأمليناها عليه ثم نسخت لنا بعد).

وبعد أن أحصى أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، شرّح في تفسيرها وبيان ما فيهما من اشتقاق، وفيما يأتي أمثلة منها:

٤- المَلِكُ أصل الملك في الكلام الرّيبُ والشّد، يُقال ملكتُ العَجين أملكه ملكا إذا شددت عجنه، ويُقال أملكوا العَجين فَإِنَّهُ أحد الرعيين. وإملاك المرأة من هذا إنّما هو ربطها بالزّوج. وَقَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي الْمَلِكُ النَّافِذُ الْأَمْرُ فِي مُلْكِهِ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ يَنْفِذُ أَمْرَهُ وَتَصَرَّفَهُ فِيمَا يَمْلِكُهُ فَالْمَلِكُ أَعْمٌ مِنَ الْمَالِكِ وَاللَّهُ تَعَالَى مَالِكُ الْمَالِكِينَ كُلِّهِمْ، وَالْمَلَاكُ إِنَّمَا اسْتَفَادُوا التَّصَرُّفَ

في أملاكهم من جهته تعالى. ٥- القُدُوسُ يُقَالُ قَدَّوسٌ وَقُدَّوسٌ وَالصَّمُّ أَكْثَرُ، وَفِي التَّفْسِيرِ إِنَّهُ الْمُبَارَكُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ هُنَا الْمُطَهَّرَةُ وَالتَّقْدِيسُ التَّطْهِيرُ، وَقِيلَ لِلظَّلِّ قُدُسٌ؛ لِأَنَّهُ يُتَطَهَّرُ فِيهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ لِلسُّطِيحَةِ مَطْهَرَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَطَهَّرُونَ مِنْهَا. وَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: إِنَّ أَوَّلَ الْكَلِمَةِ سِرْيَانِي وَإِنَّهُ فِي الْأَصْلِ قُدْشَا وَهُمْ يَقُولُونَ فِي دَعْوَاتِهِمْ قَدِيشَ قَدِيشَ فَأَعْرَبْتَهُ الْعَرَبُ قَالَتْ قَدَّوسٌ<sup>(٢)</sup>

١٢- الخَالِقُ: أصل الخلق في الكلام التّفدير يُقال خلقت الشيء خلقاً إذا قدرته، وَقَالَ زُهَيْرٌ يمدح رجلا ولأنت تفري ما خلقت وبع... ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي يَقُولُ: أَنْتَ إِذَا قَدَّرْتَ أَمْرَكَ قَطَعْتَهُ، أَي تَتَمَّ عَلَى عَزْمِكَ فِيهِ وَتَمْضِيهِ، وَلَسْتَ مِمَّنْ يَشْرَعُ فِي الْأَمْرِ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيتركه.

وَقَالَ الْحَجَّاجُ وَإِنَّمَا احْتَجَجْنَا بِكَلَامِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بَقِيَّةَ الْفَصَاحَةِ -: إِنِّي لَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرِيْتُ تَمَدِّحَ بِهِذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ {وَتَخْلُقُونَ إِيَّاهُ} أَي تَقْدَرُونَهُ وَتَهَيِّئُونَهُ<sup>(٣)</sup>

١٥- الغَفَّارُ: أصل الغفر في الكلام السّتر والتّغطية، يُقال إصبغ ثوبك فهو أغفر للوسخ أي

(١) سورة المائدة اية ٢١.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ٣٠.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ٣٦.

أَحْمَلُ لَهُ وَأَسْتَرُ، وَمَعْنَى الْغَفْرِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ وَيَغْطِيهِمْ بِسْتَرِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ يَا سِتَارَ اسْتَرْنَا بِسْتَرِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ<sup>(١)</sup>

٢٥- الْمُعِزُّ: وَهُوَ تَعَالَى يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَالْإِعْزَازُ عَلَى ضُرُوبٍ إِعْزَازٌ مِنْ جِهَةِ الْحُكْمِ وَالْفِعْلِ، وَإِعْزَازٌ مِنْ جِهَةِ الْحُكْمِ، وَإِعْزَازٌ مِنْ جِهَةِ الْفِعْلِ.

فَالْأَوَّلُ: هُوَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَثِيرٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فِي الدُّنْيَا بِيَسْطِ حَالِهِمْ وَعَلَوْ شَأْنِهِمْ، فَهُوَ إِعْزَازٌ حُكْمٌ وَفِعْلٌ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي: مَا يَفْعَلُهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِأَوْلِيَائِهِ مِنْ قَلَّةِ الْحَالِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ تَرَى مِنْ لَيْسَ فِي دِينِهِ فَوْقَهُ فِي الرُّبُوبَةِ، فَذَلِكَ امْتِحَانٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَوْلِيَّهِ وَهُوَ يَثْبِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِ. وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ: مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَثِيرٍ مِنْ أَعْدَائِهِ مِنْ بَسْطِ الرِّزْقِ وَعَلْوِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَظُهُورِ الثَّرْوَةِ فِي الْحَالِ فِي الدُّنْيَا، فَذَلِكَ إِعْزَازٌ فِعْلٌ لَا إِعْزَازٌ حُكْمٌ وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ الْعِقَابَ الدَّائِمَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِمْلَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَاسْتِدْرَاجٌ.<sup>(٢)</sup>

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤٣- الْكَرِيمُ: الْكَرَمُ سُرْعَةُ إِجَابَةِ النَّفْسِ وَكَرِيمُ الْخُلُقِ وَكَرِيمُ الْأَصْلِ.

وَحَكَى الْأَحْوَالُ: جَوْزَةٌ كَرِيمَةٌ، أَيُّ هَشَّةِ الْمَكْسَرِ، وَكَانَ سُرْعَةَ انْكَسَارِهَا وَهَشَاشَتِهَا جُعِلَ إِجَابَةً مِنْهَا فَشُبِّهَ بِهَا الْكَرِيمُ مِنَ الرِّجَالِ، إِذَا كَانَ سَرِيعًا إِلَى الْخَيْرَاتِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ وَمُسَهِّلُهُ فَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ<sup>(٤)</sup>.

تلك نماذج يسيرة، وغيرها كثير، طبَّقَ بِهَا الزَّجَّاجُ نَظْرِيَّتَهُ الْإِشْتِقَاقِيَّةَ وَأَصْبَحَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ.

#### • المبحث الثاني:

#### • موقف الخصوم والحساد

إِنَّ الْكَثِيرِينَ مِمَّنْ عَاصَرُوا الزَّجَّاجَ أَوْ جَاءُوا بَعْدَهُ، لَمْ يَرِقْ لَهُمْ مَا بَلَغَهُ الرَّجُلُ مِنْ شَأْنِ فِي الْعِلْمِ وَالْجَاهِ وَتَأَثَّلَ الْحَالُ، فَتَدَاعَوْا عَلَيْهِ، وَتَظَاهَرُوا، هَذَا يَطْعَنُ عَلَيْهِ، وَهَذَا يَفْتَرِي عَلَيْهِ الْكُذْبَ، وَذَلِكَ يَسْخَرُ مِنْهُ، وَذَلِكَ يَخْطئه فِي عِلْمِهِ.. الخ.

#### • خصوم وحساد يُصَنَّفُونَ فِيهَا يَأْتِي:

١- الْكُوفِيُّونَ الَّذِينَ بِنَاوِئُونَهُ بِسَبَبِ تَحْوَلِهِ عَنِ شَيْخِهِ ثَعْلَبِ، وَالتَّحَاقُّهُ بِالْمَبْرَدِ زَعِيمِ النُّحُوِّ الْبَصْرِيِّ، الْأَمْرُ الَّذِي عَزَّزَ مَرْكَزَ الْبَصْرِيِّينَ وَضَعُضِعَ مَرَاكِزَ الْكُوفِيِّينَ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَبِسَبَبِ فَلَجِهِ عَلَى مَنْدُوبِهِمْ هَارُونَ بْنَ الْحَائِلِ يَوْمَ تَنَاظَرَ مِنْ أَجْلِ تَأْدِيبِ الْقَاسِمِ، الْمُنَازَرَةَ الَّتِي أَوْدَى بِهَا هَارُونَ كَمْدًا.

وَبَلَغَتْ كِرَاهِيَةَ الْكُوفِيِّينَ لِلزَّجَّاجِ حَدَّ الْعَدَاوَةِ السَّافِرَةِ بَعْدَ أَنْ خَطَّأَ شَيْخَهُ ثَعْلَبًا فِي فَصِيحَتِهِ،

(١) المصدر نفسه ٣٨

(٢) المصدر نفسه ٤١

(٣) ال عمران ١٧٨

(٤) تفسير اسماء الله الحسنی ٥٠.

يحيى المنجم أنه سأله بحضرة عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم: من أي شيء اشتق الجرجير؟ قال: لان الريح تجرجره، قال: وما معنى تجرجره؟ قال: تجرّزه، قال: ومن هذا قيل للحبل الجريز؛ لأنه يُجر على الأرض، قال: الجرة لم سميت جرة؟ قال: لأنها تُجر على الأرض، فقال: لو جرت على الأرض لانكسرت، قال فالمجرة لم سميت مجرة؟ قال: لأن الله جرّها في السماء جزاً.

قال: فالجرجور الذي هو اسم المئة من الأبل لم سميت به؟ قال: لأنها تُجر بالازقة وتُقاد، قال: فالفصيل المُجر الذي يُشق طرف لسانه لثلا يرتضع أمّه ما قولك فيه؟ قال: لأنهم جرّوا لسانه حتى قطعوه، قال: فإن جرّوا أذنه فقطعوها تُسميه مُجرّاً؟ قال: لا يجوز ذلك، فقال يحيى بن علي: قد نَقَضَت العِلَّة التي أتيت بها على نفسك، ومن لم يدر أن هذا مناقضته فلا حس له<sup>(٣)</sup>.

قال حمزة: وشهدت ابن العلاف الشاعر وعنده من يحكي عن كتاب الزجاج أشياء من شنيع الاشتقاق الذي فيه، ثم قال: اني حضرته وقد سُئل عن اشتقاق القصعة، قال: لأنها تقصع الجوع اي تكسره.

قال ابن العلاف: يلزمه أن يقول: الخضض متق من الخضيض، والعصفر مشتق من العصفور، والدُّب مشتق من الدَّب، والعَدْب من الشراب

(٣) الى هنا نقله السيوطي في المزهرا/١/٣٥٤.

فلهج الناس بتلك الأخطاء، فما قرئ عليه كتاب الفصيح بعدها، ثم سئم ذلك، فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له<sup>(١)</sup>.

٢- المخالفون له في المذهب الفقهي والكلامي.

٣- المنافسون والحساد الذين تفجر الغيظ والحسد في عروقهم مما وصل إليه الزجاج من مكانة علمية واجتماعية.

فمن مظاهر الخُصومة والحسد البارز ما رواه ياقوت عن حمزة الأصفهاني قال: (قال حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتاب الموازنة: كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى، فإن إحداهما مشتقة من الأخرى، فيقول: الرُّجُل مشتق من الرِّجُل<sup>(٢)</sup>، والثور إنما سُمي ثوراً؛ لأنه يُثير الأرض.

والثوب انما سُمي ثوباً؛ لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً، حسيبه الله كذا قال.

قال: وزعم أن القرنان إنما سُمي قرناناً؛ لأنه مطبق لفجور امرأته كالثور القرنان أي: المطبق لحمل قرونه، وفي القرآن: ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ أي مطيقين. قال: وحكى يحيى بن علي بن

(١) المزهرا/١/٢٠٢-٢٠٧، وفيه نجد الحوار بين ثعلب والزجاج، وبين الزجاج وأبي موسى الحامض هذا الذي يحسد أبا إسحاق ويجاهره بالعداوة

(٢) في المزهرا (الرَّحْل مشتق من الرحيل)



مشتق من العذاب، والخريف من الخروف، والعقل مشتق من العاقول، والجلم مشتق من الحلمة، والاقليم مشتق من القلم، والخنفساء من الفساء، والخنثى من الأثنى، والمُخَنَّث من المؤنث، شرط إبليس على ذا من أدب<sup>(١)</sup>.

ولا أظنني مُرغماً على تصديق ما رواه حمزة الأصبهاني من نصوص؛ لأنها ظاهرة التجني على الزجاج والتشنيع عليه. وهل لي أن أصدق أن أبا إسحق العالم النحوي اللغوي، مصنف معاني القرآن وشرح البسمة يُسأل عن الجزة لم سُميت كذلك: فيجيب: لأنها تُجرُّ على الأرض؟! وما تهكم ابن العلاف واستخفافه - إن صدق حمزة - عنا ببعيد، فالخريف من الخروف، والعقل من العاقول، والأقليم من القلم.. الخ. ولا أجدني مصدقاً ما رواه حمزة الأصبهاني؛ لأنه مكاشح للزجاج، والخصم لا يُحكّم، وخصومته - وهذا ما أراه - ترجع إلى الأسباب أذكر منها اثنين: أحدهما: الخلاف في المذهب الفقهي، ولأريد الإسهاب فيه.

والآخر: اعتزاز الزجاج بالعربية واهتمامه بها وحبها لها؛ لأنها لغة القرآن الذي أحبه، ووقف سني حياته الأخيرة لتفسيره لغويًا ونحويًا، ولذبت عن عقيدة الإسلام الصافية، الخالية من شوائب الباطنية والشعبوية.

وإني أرى أن من أراد أن يفهم الزجاج حق فهمه، فليقرأ كتابه «الزجاج والإشتقاق» الذي ألفه في سنة ٣١١ هـ. وهو من الكتب المفيدة العجيبة الوضع الكثيرة الغرائب، ولكثرة تصانيفه وخوضه في كل نوع من أنواع العلم سمّاه جهلة اصبهان (بائع الهديان) وما الأمر - والله - كما قالوا: ومن جهل شيئاً عاداه<sup>(٢)</sup>.

أما النص المشار إليه فقول القفطي الوارد ضمن تلك الأشادة: (وكان يُنسب إلى الشعبوية، وأنه يتعصب على الأمة العربية)<sup>(٣)</sup>.

حمزة المولود سنة (٢٨٠ هـ) الذي عاش صباحه وشبابه إلى سنة ٣١١ هـ<sup>(٤)</sup>.

إحدى وثلاثون سنة والزجاج ملء السمع والبصر، والعلم المرفوع في دنيا العربية، وعالمها عن عقيدة الإسلام الصافية، الخالية من شوائب الباطنية والشعبوية.

(٢) إنباه الرواة ١/٣٣٥، ٣٣٦.

(٣) إنباه الرواة ١/٣٣٥، ٣٣٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) هي سنة وفاة الزجاج في بغداد.

(١) معجم الأدباء ١/٥٦.

الأول بعد وفاة شيخه الكبيرين المبّرذ وثعلب، ورئيس النحو وشيخ الكتاب وخصيصاه، فكيف يستمرئ حمزة العيش، ويطيب له خاطر، ويهناً له بال من غير أن يُنْقَس عن شعوبيّته، فينال من الزجاج علم العربية، ويشنّع عليه، ويسخر منه، فهو بذلك يحقق تحزبه لعنصريته، وثلبة للامة العربية، وهذا ما يخص حمزة، وأما يحيى بن علي المنجّم المتميز غيظاً فخلافه مع الزجاج بين وأسبابه واضحة ترجع إلى:

١- الخلاف في المذهب الكلامي فالزجاج من أهل السنة والجماعة، ويحيى بن علي متكلم معتزلي الاعتقاد.

٢- منادته يحيى بن علي الموقّق أخوا الخليفة المعتمد، وكان الموقّق الخليفة الفعلي وأنه كان نديماً للمعتضد والمكتفي من بعده، وفي هذه الفترة ارتفع الزجاج وصار مع المعتضد يعلم أولاده<sup>(١)</sup> وسبب اتصاله بالمعتضد أنه فسر للخليفة كتاباً لغويًا عجز عن تفسيره غيره (وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزقاً في الندماء ورزقاً في الفقهاء ورزقاً في العلماء ثلاثمائة دينار)<sup>(٢)</sup>. ويحيى -زيادة على أنه نديم- كان فقيهاً أديباً مصنّفاً، فلا غرو إن تجهمّ الزجاج وحسده على تلك المنزلة العظيمة والحظوة

السلطة وإلى خلاف في المذهب الفقهي. زد على ذلك أنّ عبد الله ويحيى كانا قريبين أحدهما من الآخر؛ لانهما ولدا صديقين حميمين بلغت صداقتهما حدّاً لا مزيد عليه، يترجمه قول

(١) الفهرست ٩٦، معجم الأدباء ٥٧/١، إنباه الرواة

٢٣٢/٣.

(٢) المصدر نفسه

(٣) معجم الأدباء ١/٣٦٥-٣٦٦.



عليه بعد موت المبرّد، فسأل رجلُ الزجاج عن مسألة، فقال لابن السراج: أجبه يا أبا بكر، فأجابه فأخطأ، فانتهره الزجاج وقال: والله لو كنت في منزلي ضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل.

وقد كنا نشهد بالذكاء والفطنة لابي الحسن بن رجاء وانت تُخطئ في مثل هذا! فقال: قد ضربتني يا أبا اسحق وأدبّتني، وأنا تارك ما درست مذ قرأت هذا الكتاب، يعني كتاب سيبويه؛ لاني تشاغلْتُ عنه بالمنطق والموسيقى، والآن أنا أعاود، فعاود وصنّف وانتهت اليه الرئاسة بعد موت الزجاج<sup>(٣)</sup>.

هذا التلميذ الحدث، الذكيّ الفطن، المتأدّب بتواضع العلماء عاود الدراسة وجدّ واجتهد، وبلغ منزلة عالية من التحصيل مكنته بعدُ من مناظرة شيخه الزجاج الذي انتهره وبكته، جادله في مذهبه الاشتقاقي، وألزم شيخه إلزامات لم يكن للزجاج مناص من التسليم له فيها.

لقد ألّف ابن السراج كتابه (الاشتقاق) وقدم له بمقدمة قصيرة بيّن فيها اضطراب الآراء في هذا الموضوع قال: (هذا كتاب نوضّح فيه الاشتقاق الواقع في كلام العرب لما يعرض من الحيرة والاضطراب لكثير من الناس فيه، منهم مختلفون، فمنهم من يقول: لا اشتقاق في اللغة البتّة وهم الأقل. ومنهم من قال: بل كل لفظتين متفتحتين فاحداهما مشتقة من الأخرى. ومنهم

أبي عبد الله في صديقه ابي يحيى:

كان لي خِلاً وكنْتُ له

كأمتزاج الروح بالبدن<sup>(١)</sup>

وبعد، فلا أجدني مرغماً على تصديق مقالة التخريف بل التجديف على لسان اولئك الثلاثة القائل حمزة، والحاكي يحيى، وصاحب الحضرة عبد الله .. فكل ذلك مطعون فيه، مرفوض للأسباب التي ذكرت.<sup>(٢)</sup>

#### • المبحث الثالث:

#### • بين الزجاج وابن السراج

لا أريد أن أدفع إسراف الزجاج وغلوّه في الاشتقاق، ولكن الذي روي عنه عن طريق حمزة الأصفهاني لا يُصدّق، فالجزة إنما سُميت - على زعم الراوي - جزة؛ لأنها تُجرّ على الأرض؟! أي يمكن صدور هذا عن الزجاج؟!

واصدق حديثاً وأوثق رواية عن الزجاج من أولئك ما رواه لنا تلميذه ابو بكر بن السراج، فقد كان هذا أحدث أصحاب المبرّد مع ذكاء وفطنة، قرأ على أبي العباس كتاب سيبويه، ثم اشتغل بالموسيقى، قال أبو محمد بن درستويه: (ورأيت ابن السراج يوماً وقد حضر عند الزجاج مُسلماً

(١) معجم الادباء ١/٣٦٧.

(٢) هذا الرأي يعود للكتور محمد صالح التكريتي -رحمه الله- الأستاذ في كلية التربية /ابن رشد /جامعة بغداد.

(٣) إنباه الرواة ٣/١٤٩.

من يقول: بعض ذلك مشتق وبعضه غير مشتق، وهؤلاء هم جمهور أهل اللغة<sup>(١)</sup>.  
وبنى كتابه على ستة أشياء، قال: (والذي يجب أن نبينه ونوضحه، مما يجب السؤال عنه ستة أشياء:

الأول: الإشتقاق ما هو؟

الثاني: هل جميع الألفاظ التي تتفق حروفها ببعضها مأخوذ بعض أم بعضها دون بعض؟<sup>(٢)</sup>.  
وعدّ الأشياء الأربعة الباقية، وبعد أن شرح

الأول انتقل إلى شرح الثاني، قال: (إن سأل سائل فقال: هل جميع الألفاظ التي تتفق حروف بعضها مأخوذ من بعض أم بعضها دون بعض؟ قيل له: الذي يوجبه النظر على واضح كل لغة أن يخص كل معنى بلفظ؛ لأنّ الأسماء إنّما جعلت لتدل على المعاني، فحقّها أن تختلف كاختلاف المعاني، ومحال أن يصطلح أهل اللغة على ما يُلبس دون ما يوضح، وهذا ادعاء من ادعى أنّه ليس في لغة العرب لفظتان متفتقتان في الحروف إلا لمعنى واحد)<sup>(٣)</sup>.

ويمضي ابن السراج في تفنيده ذلك الزعم الذي تضمّنه السؤال، وهو مذهب الزجاج، وعبر عنه بقوله (وهذا ادعاء من ادعى أنّه ليس (...).  
أسبابها كلّها.

(١) الإشتقاق لابن السراج تحقيق الدكتور محمد صالح،

مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٣. ص ٣١

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الإشتقاق ٣٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

وقد كان أحد الحدائق بالنحو<sup>(١)</sup> يذكر أنه ليس في لغة العرب لفظتان تتفقان في الأصول إلا لمعنى يجمعهما، ويتعسف ذلك غاية التعسف، فقلت له: اخبرني عن قولهم: رفع عقيرته، إذا رفع صوته بالغناء، أليس قد جاء الخبر بأن أصيله أن رجلاً عُقرت رجله، فكان ينوح عليها، فليل بعد ذلك، لمن رفع صوته مترنماً: قد رفع عقيرته؟ فقال: بلى، قلت: فلو لم يبلغا الخبر هل كان يجوز أن تشتق للعقيرة معنى من الصوت؟ قال: لا، فقلت له: فما تُنكر أن تجيء ألفاظ استعملت بقصص لم تبلغنا، فلا يجوز أن يُعرف اشتقاقها؟ فقال: ما أدفع ذلك.

وقد كان - رحمه الله<sup>(٢)</sup> - يُصيب في كثير من ذلك لحذقه وعلمه بتصاريح الكلام<sup>(٣)</sup>.

وأشار ابن جنّي في خصائصه إلى ذلك الحوار أكثر من مرة إليك واحدة منها، قال: (ولهذا الموضع نفسه ما توقف أبو بكر عن كثير مما أسرع إليه أبو إسحق من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها، ولم ندر ما حديثها، ومثّل له بقولهم (رفع عقيرته) إذا رفع صوته، قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جدا، وإتما هو

أن رجلاً قُطعت إحدى رجله، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته أي رجله المعقورة. قال أبو بكر: فقال أبو إسحق: لست أدفع هذا...<sup>(٤)</sup>.

هذه نصوص أوردها ابن السراج في كتابه الاشتقاق، وأشار إليها ابن جنّي في خصائصه تبين مذهب الزجاج في الاشتقاق، وإسرافه فيه، وتلك نصوص أوردها حمزة الأصفهاني تبين مذهب الزجاج في الاشتقاق أيضًا، ولكن شتان ما هما، هذه صادرة عن ناقد مُترن منصف، وتك عن حاقد مكاشح مُجحف، ابن السراج الناقد المنصف لم يدفع إسراف الزجاج وغلوه في الاشتقاق، فقد تبين مذهب شيخه (أنه ليس في لغة العرب لفظتان تتفقان في الأصول إلا لمعنى يجمعهما) وحكم عليه - أعني شيخه - أنه كان (يتعسف ذلك غاية التعسف) ثم جادله وحاوره، وأذعن الشيخ لتلميذه، ووافق على رأيه، ما انتفج ولا حنق، ولا تجهم تلميذه.

ولم يسع ابن السراج الناقد المصنف إلا أن يُقر بحذق أبي إسحق ومكانته اللغوية، فقال (... وقد كان - رحمه الله - يُصيب في كثير من ذلك لحذقه وعلمه بتصاريح الكلام).

فأين هذا التقويم مما أورده حمزة والثلاثة الرواة: ابن المنجم وابن حمدون وابن العلاف! هل

(١) المقصود هو الزجاج

(٢) هو الزجاج.

(٣) الاشتقاق ٣٤

(٤) الخصائص ١/٢٤٨. وانظر أيضا ١٢/١، ٦٦.

بين المبرّد (شيخ الزجاج) وسيبويه (الموقر عند أبي علي) هي التي دفعت أبا علي الى مهاجمة المبرّد وتلميذه الوفي أبي إسحاق<sup>(٢)</sup>.

وأقول لهذا التخريج لا، لا، فليست الخصومة بين المبرّد شيخ الزجاج وبين سيبويه هي التي دفعت أبا علي إلى مهاجمة المبرّد وتلميذه الوفي أبي إسحاق؛ لأنّ المبرّد رجع عن كثير مما علّط به سيبويه، وأبو علي يعرف ذلك حق المعرفة، فقد بين الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة جليّة الامر بما نقله عن ابن جني، يقول أبو الفتح في هذا الخصوص: (ومن الشائع في الرجوع عنه من المذاهب ما كان أبو العباس تتبّع به كلام سيبويه، وسماه (مسائل الغلط) فحدّثني أبو علي عن أبي بكر بن السراج أن أبا العباس كان يعتذر منه ويقول: هذا شيء كنا رأيناه في أيام الحدّثة، فأما الآن فلا)<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن جنّي أيضاً (وأما ما تعقّب به أبو العباس محمد بن يزيد كتاب سيبويه في المواضع التي سماها (مسائل الغلط) فقلما يلزم صاحب الكتاب إلا الشيء النزر وهو أيضاً - مع قلته - من كلام غير أبي العباس. وحدّثني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس أنّه قال: إنّ هذا كتاب كُنّا علمناه في أوان الشبيبة والحدّثة، واعتذر أبو

ذكروا الزجاج بكلمة طيب واحدة؟ لماذا؟ ولعل أبرز مظاهر الخصومة والخلاف ما تكشف عنه الوقائع الآتية، ذلك أن يدخل شخص بغداد سنة (٣٠٧هـ) والزجاج مترّب على سدة الشهرة علماً وقدراً وسعة، فهو جليس الخلفاء ومؤدبهم، وعالم النحو بعد المبرّد، والعلم المشار اليه في اقراء الكتاب، يأتي ذلك الشخص ويقراً على هذا الشيخ ويتلمذ على يديه، ولم يلبث الشيخ حتى انتقل الى جوار ربه سنة (٣١١هـ) فما كان من هذا التلميذ إلا أن هجم على سمعة شيخه المدوّية في الآفاق، فألف كتابا كبير العنوان سماه (الأغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني) ليجعله باكورة أعماله، إنّه تلميذه العاق أبو علي الفارسي، ولقد تساءل الدكتور عبد الفتاح أسماعيل شلبي عن سر الهجوم المبكر لهذا التلميذ العاق قال: (فهل هجم ابو علي على شيخه الزجاج ابتغاء السمعة وابتغاء الظهور؟ أمّا أبو حيان فيرجع ذلك إلى أنّ أبا علي كان محبا للزّد على الزجاج وتخطئته، ثم قال: لأنه كان مولعا بذلك، وللشأن الجاري بينهما سبب ذكره الناس. ولم<sup>(١)</sup> اقف على ذلك السبب الذي ذكره الناس على الرغم من طول صحبتي لأبي علي وتقصي ما هو متصل به، وإن كنت أميل إلى اعتبار أنّ الخصومة التي كانت

(٢) ابو علي الفارسي ٤٧٧.

(٣) المقتضب، مقدمة المحقق ٩٠، وانظر: الخصائص

العباس منه)<sup>(١)</sup>. اشتقاقية كان مُشَّهراً بها، مُطَبَّقاً لها في مصنَّفاتِه، واذن ما كانت، ولا استمَّرت خصومة بين المبرِّد وسيبويه بالرواية عن أبي علي نفسه عن ابن السَّراج عن المبرِّد، وعليه فإنَّ الفارسي لم يكن منتصراً لسيبويه بل كان محبباً للزَّجَّاج على الزَّجَّاج وتخطئته كما قال أبو حيان؛ لأنه كان مولعاً بتخطئة شيخه بسبب الشَّنَّان الجاري بينهما. إنَّ الفارسي يقف في الجهة التي يصطف فيها خصوم الزَّجَّاج، وأنه من الجِيلة التي فُطِرَ عليها حمزة الأصفهاني والثلاثة الرواة معه، من الذين يتميِّزون حقداً وحسداً وغيظاً وخلافاً في المذاهب المختلفة، ناهيك عن قصة تُروى عن هذا الفارسي، تجعل من الزَّجَّاج رجل دعاية وعبث يتملِّق الوزير القاسم الغلِّيم، وقد أثبت التحقيق بطلانها<sup>(٢)</sup>.

ولكن بكث قبلي فهيج لي البكا

فبكاها فقلت الفضل للمتقدم

أجل: الفضل للمتقدم، وهذا ما انتهى إليه الدكتور عبد الفتاح شلبي وهو يقوم مذهب الزَّجَّاج في الإشتقاق، فبعد أن ذكر أن أبا اسحق (مولع ولعاً شديداً بالإشتقاق، يجعل للفظ معنى أصيلاً تُؤخذ منه وتدور حوله معاني الألفاظ التي تمَّت له باتفاقها معه في بعض الحروف ومتصرفه منه، وهكذا يأخذ اصلاً من الأصول يجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه).<sup>(٣)</sup>

وذكر الباحث ان ولع الزَّجَّاج بالإشتقاق ادى به الى ترجيح جانبه على ما عداه من التأويلات، فإذا كانت هناك عدة تأويلات، وكان بعضها يرجع في معناها الى اصل من اصول الإشتقاق رجح هذا الجانب)<sup>(٤)</sup>.

وانتهى الباحث إلى أنَّ للزَّجَّاج (طابعا خاصاً في تناوله الإشتقاق مميِّزا له من غيره من الأئمة

وأفصِرَ عن مجون أبي علي وتخالعه وتقولاته، فترجمه طافحة بذلك.

#### • المبحث الرابع:

#### • من السَّباق الى نضيج الإشتقاق

وإذ انتهينا من قريب إلى أنَّ الزَّجَّاج كان علماً من أعلام عصره، ذا مكانة علمية بارزة، ومنزلة اجتماعية عالية، فضلا عن كونه صاحب نظرية

(١) المصدر نفسه، وانظر الخصائص ٣ / ٢٨٧.

(٣) ابو علي الفارسي ٢٧٢، وهذا ما وضحناه في ص ٦، ٧، ٨، من هذا البحث.

(٤) المصدر نفسه ٢٧٣.

(٢) انظر: مجلة اداب المستنصرية، بحثا بعنوان (الزجاج النحوي في تخليط المؤرخين) للدكتور محمد صالح التكريتي، العدد التاسع ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٤٠٤.

اللغويين)<sup>(١)</sup>. وثنائه ابن فارس بتأليف (المقاييس)<sup>(٢)</sup>.  
 وعقب الباحث على رأي باحثين محدثين يقول: ابن دريد هو البادئ بالنجاح الكبير لفكرة الاشتقاق بتأليف كتاب الاشتقاق، وأن ابن فارس قد تأسى به، وهو رأي الأستاذ عبد السلام هارون محقق مقاييس اللغة، حيث يقول في مقدمة التحقيق: (على أن ابن فارس في كتابه (المقاييس) قد بلغ الغاية في الحذق باللغة، وتكنه أسرارها، وفهم أصولها، اذ يرد مفردات كل مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية المشتركة.. وقد انفرد من بين اللغويين بهذا التأليف، لم يسبقه أحد ولم يخلفه أحد، وأرى أن صاحب الفضل في الإيحاء إليه بهذه الفكرة العبقريّة هو الإمام الجليل أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) إذ حاول في كتاب (الاشتقاق) أن يرد أسماء قبائل العرب وعمائرهم وأفخاذها وبطونها وأسماء ساداتها... وشعرائها وفرسانها وحاكمها، إلى أصول لغوية اشتقت منها هذه الأسماء. ومما هو بالذكر جدير أن ابن فارس كان يتأسى بابن دريد في حياته العلمية والأدبية والتأليفية... والكلام في الاشتقاق قديم يرجع العهد به إلى زمان الأصمعي وقطرب وأبي الحسن الأخفش، وكلهم ألفت هذا الفن، ولكن ابن دريد بدأ النجاح الكبير لهذه الفكرة بتأليف كتاب (الاشتقاق)

لقد أراد الباحث أن يُنبّه على أن للزجاج نصيباً وافراً من المشاركة في مباحث الاشتقاق، وعلى الرغم من ذلك لم يجرله ذكر بين العلماء منذ الأصمعي حتى ابن دريد، يقول الدكتور الباحث: (وقد قرر الاستاذ عبد السلام هارون أن الكلام في الاشتقاق قديم، فقد أشار إلى المؤلفين القدامى فيه... ولكنه يغفل ما أردت الإشارة إليه هنا في هذا الفصل وهو مشاركة أبي إسحاق الزجاج في هذا الباب على هذه الصورة التي تستحق التسجيل... وأرجو بعد ذلك ألا يُنسب إلى ابن دريد أنه بدأ النجاح الكبير في الاشتقاق، ويُنسب أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) وهو معاصر ابن دريد (٣٢٤هـ)<sup>(٣)</sup>، ويذكره المؤرخون في كتب الطبقات سابقاً عليه)<sup>(٤)</sup>.

واجتهد الدكتور شلبي في تعليل ما رآه الاستاذ هارون فقال: (وربّما كان الأستاذ مدفوعاً إلى ما رأى بان الكتب المؤلفة في الاشتقاق طواها الزمن وامتدت إليها يد الضياع، خلا كتاب ابن دريد في الاشتقاق المعروف في أيدي الناس... فهل تُلتَمَس المعذرة بعد أن أورد الزجاج هذه الطائفة الصالحة من الاشتقاق في كتابه معاني

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس، مقدمة المحقق ١/٢٣-٢٤.

(٣) وفاة ابن دريد في كثير من المصادر سنة (٣٢١هـ)

(٤) ابو علي الفارسي ٢٧٦-٢٧٧ هامش.

(١) نفسه ٢٧٦.



صاحب الفضل في الحديث عن الاشتقاق، قال الدكتور شلبي: (وأود هنا أن أنصف ابن السراج وأرد إليه فضل السبق في التحدّث عن الاشتقاق الصغير، ذلك لأنّ الأستاذ أحمد أمين (رحمه الله) قال في ظهر الإسلام ما نصه: (ومن خير ما ألف في اللغة أيضا في ذلك العصر كتاب مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ، وقد نحاه فيه نحوا جديدا، وقد استخلص من معاني الكلمة المختلفة معنى واحداً أو معنيين جعله اساساً للكلمة، ونقص عليه، وبين ان الاشتقاقات المختلفة تدور حوله، مثال ذلك (وجب) قال: الواو والجيم والباء، أصل واحد يدل على سقوط الشيء ووقوعه ثم يتفرع، يقال: وجب البيع وجوبا حق ووقع، ووجب الميت: سقط، والقنيل واجب، وفي الحديث: إذا وجب فلا تبكين باكية، أي إذا سقط، وقال الله في النسك: فإذا وجبت جنوبها.. ووجب الحائط: سقط.

فأنت ترى أنّ الأستاذ أحمد أمين وصف ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة بأنه ((نحا نحوا جديداً فيه) ثم بين ذلك النحو الجديد بأن يؤول المعاني كلها إلى معنى واحد... وأرى<sup>(٤)</sup> أنّ ابن فارس (٣٩٥هـ) لم يكن مبتدعا ذلك ابتداءً فقد سبقه ابن السراج والرَّجَّاجُ، ولكن ابن السراج (٣١٦هـ) ينفرد بأنّه ألف كتابا في الاشتقاق كما

القرآن، رأي الشيخين المتعاصرين بدأ النجاح الكبير في نظرية الاشتقاق<sup>(١)</sup>.

ولم تغب عن الباحث الإشارة الى أنّ (بعض العلماء - وربما دفعهم التحامل - لم يرضوا عن منهج الرَّجَّاجُ في الاشتقاق... ولكن هذا لا يدعو الى عدم الاعتداد به وإغفاله حتى لا يُشار إليه مع أنّه يُمثل مرحلة كبرى من المراحل التي خطاها السابقون في هذا السبيل، ومما يزيد في أهمية هذه المرحلة عند الرَّجَّاجُ أنّه يكاد يلتزمها في تفسير اللفظ القرآني في كتابه المعاني.

هذا وقد عرضتُ في مكان آخر لأبي بكر محمد بن السري الملقّب بابن السراج وهو معاصر كذلك لابن دريد، وبينت تأسي ابن فارس به، ودعمت ما رأيت بالنصوص، وانتهيت إلى أنّ ابن السراج هو الأصل في الحديث عن الاشتقاق على صورة رضي عنها العلماء المشهورين كأبن جني في خصائصه ١/٥٢٦<sup>(٢)</sup>.

والمكان الآخر الذي أشار إليه الدكتور شلبي هو ما ذكره في الفصل الذي عقده موازنا بين أبي بكر بن السراج وأبي علي الفارسي<sup>(٣)</sup>، حيث عرض لإنصاف ابن السراج والتدليل على أنّ له فضل السبق في التحدّث عن الاشتقاق راداً بذلك على ما قاله الأستاذ أحمد أمين الذي رأى أنّ ابن فارس

(١) المصدر نفسه.

(٢) ابو علي الفارسي ٢٧٧ هامش.

(٣) المصدر نفسه ٢٩٥.

(٤) هذا كلام الدكتور شلبي.

وخلاصة ما قدمناه من اعتراض الدكتور شلبي على كل من الاستاذين عبد السلام هارون وأحمد أمين، أن الأول يرى أن ابن دريد بدأ النجاح الكبير في فكرة الاشتقاق، وأن ابن فارس قد تأسى به، وأن الثاني يرى أن ابن فارس في كتابه المقاييس قد نحا نحوًا جديدًا بتأصيله معنى أو معنيين للكلمة، وأن الاشتقاقات المختلفة تدور حوله.

ودعنا لهذا التحقيق التاريخي المنصف فيمن له فضل السبق في معالجة الاشتقاق وتعزيزًا لمكانته بالإنصاف أقول<sup>(٢)</sup>: إن النص الذي سقته من قريب، والذي أورده الدكتور شلبي من كلام ابن السراج محتجًا لقراءة من قرأ (ملك يوم) فاحتج به الباحث على أن ابن فارس في مادة (ملك) قد (أورد في كتابه مقاييس اللغة كلاماً ينظر فيه إلى قول ابن السراج) بأن ساق الأمثلة من كلام العرب التي ساقها ابن السراج، وأورد الشواهد الشعرية كما أورد... الخ.

أقول: كأي بكلام ابن السراج مقول في ضوء مذهب الزجاج الاشتقاقي فيها هو أبو إسحاق يقول باختصار في اشتقاق اسم الله تعالى (الملك): (أصل الملك في الكلام: الربط والشد، يُقال: ملكت العجين املكه ملكاً: إذا شدت عجنه، ويُقال: املكوا العجين فإنه أحد الربيعين، وإملاك المرأة من هذا إنما هوربطها بالزواج...)<sup>(٣)</sup>.

(٢) رأي الدكتور محمد صالح التكريتي.

(٣) انظر ص ١٠ من هذا البحث.

يقول ابن جنبي، وأقرأ معي كلام أبي بكر فيما أورد من احتجاج لقرارة من قرأ: مَلِكٍ يوم الدين وأنه يختار هذه القراءة قال: (الاختيار عندي: ملك يوم الدين، والحجة في ذلك ان المالك والملك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل وهو: الربط والشد، كما قالوا: ملكت العجين أي شدته، وقال الشاعر:

ملكْتُ بها كفي فَأَنهَرْتُ فتقها

يرى قائم من دونها ما وراءها  
والأملاك من هذا، إنما هوربط الرجل بالمرأة، وكلام العرب بعضه مأخوذ من بعض، فقد يكون الأصل واحداً، ثم يُخالف بالأبنية... فكذلك مالك وملك، فالملك الذي يملك الكثير من الأشياء، وشارك غيره من الناس بأن يشاركه في ملكه بالحكم عليه فيه، وان لا يتصرف فيه الا بما يطلقه له الملك ويسوسه به)، وقد أورد ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة كلاماً في مادة (ملك) ينظر فيه إلى قول ابن السراج، منها أنتم أولاء ترون سبق ابن السراج في هذا الباب، وكيف ساق الأمثلة من كلام العرب، وقد ساقها بعد ابن فارس، وكيف أورد شواهد الشعر كما أورد؟ أيجوز بعد ذلك أن نطمئن إلى ما يقول الأستاذ أحمد أمين (إن ابن فارس نحا نحوًا جديدًا في كتابه مقاييس اللغة)<sup>(١)</sup>.

(١) ابو علي الفارسي ٣٠٣.



في مذهبه بأنَّ السراج (ت ٣١٦) والزجاج وليس صحيحا ما علل به اعتراضه السابق حين قال: (ولكن ابن السراج ينفرد بأنه ألف كتابا في الاشتقاق كما يقول ابن جني).

ثم قال: (... فلعل الأستاذ أحمد أمين -رحمه الله- يرى ان ابن فارس أول من ألف كتابا نحا فيه النحو الجديد، ولكن هذا مردود أيضا؛ لأنَّ ابن السراج قد قدم رسالته فيه .. ولم يأل فيه -كما يقول ابن جني<sup>(٢)</sup>- نصحا وإحكاما وصنعة وتأنيا<sup>(٣)</sup>).

فهذا التعليل غير صحيح بل مردود؛ لأنَّ ابن السراج لا ينفرد بأنه ألف كتابا في الاشتقاق، فهو مسبوق بشيخه الزجاج الذي خرَّجه بعد وفاة المبرد، ولهذا الشيخ كمُّ غزيرٍ في موضوع الاشتقاق يتضمَّنُه ما يأتي:

١- كتابه في الاشتقاق وقد نقل منه السيوطي<sup>(٤)</sup>.  
٢- كتابه المحقق ( تفسير أسماء الله الحسنی)<sup>(٥)</sup>.

٣- المادة الاشتقاقية التي زخر بها معاني القران، والتي أطلع الدكتور شلبي على قسم منها، فضلا عما ورد منها في مصنفاته الاخرى.

وفي ضوء ما تقدم اقول: إنَّ أبا بكر بن السراج

ولا غرو من أن يتخرج ابن السراج في مدرسة شيخه الزجاج، فلهذا الشيخ كان الفضل الأكبر في رده إلى العربية بعد أن انشغل عنها بالموسيقى، والشيخ هذا هو الذي انتهره بعبارة تأديبية قاسية بعد أن أخطأ في الجواب وخبَّ ظن شيخه فيه فقال له: (والله لو كنت في منزلي ضربتك ولكن المجلس لا يحتمل هذا).

والشيخ هذا هو الذي وصفه تلميذه ابن السراج بأنه ( كان أحد الحذاق بالنحو)

وانه كان يتعسف في تأويلاته الاشتقاقية، وعلى الرغم من ذلك قال فيه: (وقد كان -رحمه الله- يصيب في كثير من ذلك لحذقه وعلمه بتصاريف الكلام)<sup>(١)</sup>.

وأود هنا أن أكمل التحقيق التاريخي في مسار الاشتقاق فأبين ما أراه فيما ذهب اليه الاساتذة المحدثون فأقول: صحيح ما اعترض به الدكتور شلبي عبد السلام هارون؛ لأنَّ الأخير لم يطلع على معاني القرآن للزجاج، وإذن لا يكون ابن دريد (ت ٣٢١هـ) هو من بدأ النجاح الكبير في فكرة الاشتقاق، فهو مسبق بالزجاج (ت ٣١١هـ).

وصحيح أيضا ما اعترض به الدكتور شلبي الأستاذ شلبي الأستاذ أحمد أمين الذي وصف ابن فارس بأنه نحا نحوا جديدا في كتابه مقاييس

اللغة... فقد كان ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) مسبقا

(٢) الخصائص ٢/ ١٣٤.

(٣) ابو علي الفارس ٣٠٣.

(٤) المزهرا ١/ ٣٥١.

(٥) حققه احمد يوسف الدقاق، دمشق ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م

(١) الاشتقاق لابن السراج ٣٤.

ومن تأسى به من كبار الاشتقائيين، كابن جنى وابن فارس إنما هم تلاميذ للزجاج، استلهموا فكره واستنهجوا رسمه، وتخرجوا في مدرسته الاشتقاقية.

## الخاتمة

وفي الختام يمكن إجمال أبرز النتائج التي

توصل إليها البحث فيما يأتي:

١- يعدُّ الزجاج مدرسة جامعة تخرج فيها أئمة أعلام في النحو، واللغة، والأدب.

\* \* \*

٢- إنَّ للمنزلتين العلمية العالية، والاجتماعية الرفيعة اللتين تبوأهما الزجاج عن جدارة كانت محط أنظار الحاسدين، والحاقدين، والمفتئين عليه.

٣- أشتهر الزجاج بنظريته الاشتقاقية، والتي لاقت مجالاً رحباً في مؤلفاته.

٤- كان للزجاج طابعاً خاصاً في تناوله الاشتقاق مما ميزه عن غيره من الأئمة واللغويين.

٥- يعدُّ ابن السراج ومن تأسى به من كبار الاشتقائيين كأبن جنى، وابن فارس إنما هم تلاميذ للزجاج استلهموا فكره، واستنهجوا رسمه، وتخرجوا من مدرسته الاشتقاقية.

\* \* \*

## المصادر

- ١١- الفهرست لابن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة
- ١٢- مجلة آداب المستنصرية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، العدد ٩.
- ١٣- المزهر للسيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ١٤- معاني القرآن للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ١٩٧٤م.
- ١٥- معجم الانساب والأسر الحاكمة، زانباور، مصر ١٩٥١م.
- ١٦- معجم الادباء لياقوت الحموي، تحقيق مرجليوث، مطبعة هندية بالموسكي، مصر.
- ١٧- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون ج١، القاهرة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١٨- المقتضب للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، مقدمة المحقق.
- ١٩- نزهة الالباء لابي البركات الانباري، تحقيق ابراهيم السامرائي، بغداد ١٩٥٩م.
- ٢٠- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق على محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، مصر.
- ١- أبو علي الفارسي، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٧٧هـ.
- ٢- الاشتقاق لابن السزَّاج، تحقيق محمد صالح التكريتي، بغداد ١٩٧٣م.
- ٣- إنباه الرواة للقفطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٠م.
- ٤- تذكرة الحفاظ للذهبي، حيدرآباد ١٩٥٦م.
- ٥- تفسير أسماء الله الحسنی للزجاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دمشق ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٦- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٦م.
- ٧- الزَّجَّاجُ - حياته وأثاره ومذهبه في النحو، محمد صالح التكريتي، رسالة ماجستير مخطوطة، بغداد ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.
- ٨- شرح بسم الله الرحمن الرحيم للزجاج (مخطوط) ضمن مجموعته في دار الكتب المصرية برقم ٦٧ نحوش. نسختي.
- ٩- طبقات القراء لابن الجزري، تحقيق برجستراسر، مصر ١٩٣٢م.
- ١٠- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

